والمصريين واليونان ، وليس بمعقول أن يكون لتلك الأمم نثر فني قبل الميلاد بأكثر من خمسة قرون ثم لايكون للعرب نثر فنى بعد الميلاد بخمسة قرون ، كأن العرب انفردوا فى التاريخ القديم بالتخلف فى ميادين العقل والمنطق والخيال » . ويقول « والمسيو مرسيه يؤمن بوجود الخطب في العصر الجاهلي ، وينكر إنكاراً مطلقاً أن يكون هناك نثر فنى كالذى يلجأ إليه الرجل لإذاعة فكرة ، أو دفع شبهة ، أو إيضاح مشكلة ، وفاته وفات أشياعه أن القرآن يشير إلى أنه كانت هناك كتب دينية وأدبية لم يطلع عليها النبي عليه السلام حتى يتهم بأنه لفق القرآن مما نقل إليه من علوم الأولين (وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك ، إذاً لارتاب المبطلون) »[1] .

وعلى هذا فنحن لانريد أن نشايع رأيا مثقلا بأوزار الخطأ والضلال ، فلا نسم ذلك العصر بالأولية ، ولا ننظر إلى العرب تلك النظرة المجحفة ، فنراهم متخلفين فى التاريخ القديم بالتخلف فى ميادين العقل والمنطق والخيال . ولكن الذى نريد أن نقف عنده ، هو تلك الآية الكريمة التى استنتج منها الدكتور زكي مبارك أنه كان هناك من بين الكتب كتب أدبية لم يطلع عليها الرسول ، فإذا كان السياق عن القرآن والدين الذي يمثله ، أليس أولى بنا أن نفهم من ذكر الكتب هنا أنها كتب دينية ، وإلا فهل يقوم دليل يقطع بأن المقصود بذلك الكتب الأدبية أو أن تكون هذه الكتب شاملة لكل نوع ، والنوع الأدبى على وجه الخصوص . ولماذا نذهب بعيداً ، والآيات لدينا فى سياقها كله من سورة العنكبوت ، نستطيع أن نتلوها لننظر في أدنى احتمال لوجود تلك الكتب الأربعة يمكن أن تدل عليه الآيات . يقول الله تعالى:

(اتل ما أوحى إليك من الكتاب وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون .

---

(١) النثر الفنى فى القرن الرابع — الجزء الأول ـ ص ٣٧ ـ ٣٨ .